المقاربة التداولية في فن الوصية-نماذج تطبيقية من وصايا النثر الجاهلي-

A pragmatic approach to the post-islamic commandments-application on the samples from post-islamic pose

علية بيبية*

جامعة العربي التبسي-تبسة

Oulaya.bibia@univ-tebessa.dz

تاريخ الارسال2021-04-23	تاريخ التقييم2021-06-21	تاريخ القبول2021-06-30

الملخص

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية أن نكشف عن الآليات التداولية ومدى تطبيقها على فن من فنون النثر الجاهلي ألا وهو الوصية وذلك من خلال مجموعة من المرتكزات التي تهتم بها التداولية وهي الحجاج وأفعال الكلام والإشاريات ،وذلك باعتبار ارتباط التداولية كمنهج لساني حديث ،ذو منحى تواصلي بتحليل النص أو الخطاب والكشف عن أوجه السياق والاستعمال فيه

كلمات مفتاحية: تداولية؛وصية ؛حجاج؛استعمال؛نص

Abstract

The aim of this research is to try to explore the pragmatic mechanisms used in one of the post-islamic literary arts in the art of commandments.our analysis id based on some theoretical pragmatics assumption such as argumzntation,speech act and deictics.Pragmatics is conceived as a recent linguistic criticism approach with a communicative tendency whose purpose is to analyse texts and discourses taking into acconnt context and use.

keywords: pragmatic, art, speech.

*المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

يعد الاشتغال على التداولية باعتبارها منهجا لسانيا تواصليا من أهم القضايا التي يتم التطرق إليها من أجل كشف وقراءة نصوص أو خطابات عدة، بمقاربات تعتمد على بيان آليات المنهج التداولي الذي يهتم بمباحث كالإقناع، والحجاج، وأفعال الكلام والإشاريات وغيرها.

ونهدف من خلال هذه المقاربات أن نستثمرها في نصوص من النثر الجاهلي، فوقع اختيارنا على فن الوصية كنوع منه، ويطرح هذا البحث جملة من الإشكاليات مفادها : كيف يمكننا تطبيق المنهج التداولي على هذا النوع من الخطابات السردية؟ وإلى أي مدى تحقق هذه الخطابات الأبعاد التداولية التي تهدف إلى التأثير والإقناع ، وبخاصة في العصر الجاهلي الذي تتميز كتاباته باللغة القوية الجزلة؟

وللوصول إلى هذا الهدف، حاولنا انتقاء مجموعة من الوصايا الجاهلية قصد الوقوف على هذه الأبعاد التي تتمثل في الإقناع والتواصل، مما يحقق التأثير بين طرفي الخطاب ومعرفة الخلفيات الثقافية والاجتماعية لفن الوصية في ذلك العصر.

2. المصطلحات المفتاحية

1.2 التداولية:

لقد قدم المنهج التداولي للأدب والنقد منفذا جديدا وتحولا معرفيا للنصوص الأدبية، وجدت من خلاله التداولية كمقاربة نقدية حديثة ذات منحى لساني بلاغي تقود عملية القراءة والتحليل للبنى النصية بمختلف تمفصلاتها وتوجهاتها الفلسفية.

وقد كان ميلاد التداولية نتيجة إرهاصات فلسفية ،كالفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة العادية ،وكلا من الفلسفتين أعطت أبعادا أخرى لفلسفة اللغة وأضحت العلاقة بين مقاصد المتكلم وأدائه اللغوي محور اهتمام هؤلاء ،وبغض النظر عن المفهوم اللغوي للتداولية الذي يعني الانتقال من حال إلى حال، فإنها كمصطلح تعني: «استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي نعني به تحديدا اللسانيات ،وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة فلأن هذا الاستعمال ليس محايدا من حيث تأثيراته في عملية التواصل ولا في النظام اللغوي في حد ذاته، فمن نافل القول فعلا أن نشير إلى أن بعض الكلمات (المشيرات الدالة

على الزمان والمكان أو الأشخاص من قبيل الأن وهنا وأنا)،لا يمكن تأويلها إلا في سياق قولها »[1]

والتداولية في الاصطلاح اللساني هي :« ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق التواصلي لعملية التخاطب ،وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية ،وبعبارة أخرى فهي تركز اهتمامها على مجموعة الضوابط والمبادئ التي تحكم عملية تأويل الرموز والإشارات اللغوية في إطار التواصل البشري»[2].

ويشير هذا التعريف إلى خصائص تتميز بها التداولية وهي :

-إن التداولية لا تستغني عن اللسانيات، فهي المنبع الذي تستمد منها مبادئها وخاصة في مجال التركيب الذي يعنى بوصف العلاقات الشكلية بين الجمل، فالتداوليات مرتبطة باللسانيات « ومرد هذا الارتباط اهتمامها بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز فيها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة»[3].

-تعتمد التداولية على السياق التواصلي الذي يعنى باستعمال اللغة في مواقف معينة ،فدراسة اللغة في الاستعمال هو محور هذا العلم .

-تتداخل التداولية مع علوم أخرى كعلم الدلالة الذي يهتم بتفسير المعنى وعلاقة الرموز بمفسريها ،وعلم اللغة الاجتماعي الذي يهتم بالتواصل اللغوي ومحيطه الاجتماعي وعلم اللغة النفسي الذي يهتم بالظروف النفسية التي تحيط بالحدث الكلامي.

وتتميز المقاربة التداولية بما يلي :

-دراسة النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصلي والتركيز على أفعال الكلام واستكشاف العلاقات المنطقية الحجاجية ،والاهتمام بالسياق التواصلي والتلفظي.

-اعتمادها على النظرة الثلاثية بين المبدع والنص والمتلقي ،فاللغة في هذا المنهج ثلاثة مظاهر مظهر خطابي ومظهر تواصلي ومظهر اجتماعي.

-استنادها على حقول معرفية متعددة ،كحقل اللسانيات والبلاغة والمنطق وفلسفة اللغة وغيرها من الميادين المعرفية الإنسانية .

2.2 مفهوم الوصية :

الوصية "من وصى وهي من وصى كوعى خس بعد رفعه واتزن بعد خفة، واتصل ووصل الأرض وصيا ووصاءة اتصل بشأنها ،والاسم الوصاة والوصاية والوصية وهو الموصى به أيضا ،قال تعالى "يوصيكم الله" أي يفرض عليكم وقوله تعالى " تواصوا به" أي أوصى أولهم آخرهم »[4].

والوصية أنواع منها الوصية الأدبية وهي ما يقدمه انسان لإنسان من نصائح ومواعظ ضمن مجموعة من الأوامر والنواهي ،وقد تأتي على شكل شعر أو نثر وهي نوع من الأدب غايته التوجيه والإرشاد والحث على اكتساب المحامد أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

والتواصل بين الموصي والموصى إليه لن يكون إلا عن طريق النصح والإرشاد والوعظ وذلك بالدعوة إلى الاستفادة من التجارب السابقة والاقتداء بها .

كما تندرج الوصية ضمن منظومة الخطابات الشخصية لأنها صادرة بتوجيه شخص إلى شخص آخر . "وتتعدد الوصايا على اختلاف مضامينها، فهناك وصايا من القرآن الكريم ووصايا من الأنبياء عليهم السلام ووصايا الخلفاء ووصايا العلماء والفقهاء ووصايا الكتاب والشعراء."[5]

ويراد بالوصية أيضا الترغيب فيما ينفع وعما يغير ،وهي موجهة لقوم معينين في زمن معين كوصية الرجل لأهله.[6]

وتختلف كل وصية تبعا لاختلاف عصرها وما تتميز به لغتها فوصايا النثر الجاهلي لها خصوصيتها الاجتماعية والثقافية، باعتبار أن النثر الجاهلي "يمتاز بجريانه مع الطبع فليس فيه تكلف ولا زخرف ولا غلو فهو يسير مع أخلاق البدوي وبيئته، فهو قوي اللفظ متين التركيب، قصير الجملة ،قريب الإشارة ، قليل الاستعارة، سطحي الفكرة"[7]

وعلى هذا الأساس فإن وصايا النثر الجاهلي تتخذ أسلوبا بسيطا وهو على بساطته موجه قائم على الأمر و النهي ،وفي الوقت نفسه يقوم على قصدية التأثير والإقناع وهذا ما يتجلى في الوصايا التي بين أيدينا .

3. المقاربة التداولية في الوصايا النثرية الجاهلية :

سبق الإشارة إلى أن التداولية هي استعمال للغة في موقف تواصلي معين ، وليس المقصود بالتواصل الجانب الآلي أو الفيزيائي بل السياق العام الذي ينتج عنه التأثير والتفاعل بين المتكلم والسامع ، وفي ذلك يقول عبد السلام عشير :"إذا كانت نظرية التواصل اللساني تنطلق أساسا من معرفة كيف يتم التواصل أكثر من معرفة ما يتم إيصاله، فهي رغم ذلك تفتح بابا مهما لمعرفة الطرائق والآليات التي تتم بها صياغة الأقوال ،ومن ثم فهي تطل على الكيفية التي يشتغل بها الذهن البشري ، لترتيب الأفكار والتعبير بها عن المشاعر والمعتقدات ،والتأثير بها في الآخرين ، وإذا كانت هذه الوظائف في غالبها ترتبط بالمعنى الضمني وليس بالمعنى الحرفي الذي هو مجال النظريات التواصلية العلمية الآلية ،فإن النظريات المعاصرة انفتحت على معطيات تجاوزت النقل الحرفي إلى البحث في الخلفيات المعرفية والسياقية، التي تحكم التواصل التفاعلي الإيجابي بين المتكلمين والمستمعين وهي معطيات تداولية تؤسس الفضاء التواصلي العام بمختلف العوامل المعرفية والسياقية والنفسية والاعتقادية".[8]

و حديثنا عن الفضاء التواصلي يقتضي منا إبراز آليات الحجاج والإقناع التي تهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه ،فالوصية في طبيعتها تتسم بحجاجية السرد ،وتعد من أهم الأنواع الأدبية التي تتخذ الحجاج مسارا لها لأنها تقوم على التفاعل بين الموصي والموصى إليه.

1.3 آلية الحجاج:

يعد الحجاج وسيلة من وسائل التخاطب وأساسه الإقناع والتحاور والتأثير واستمالة الآخر، فكل من المرسل والمرسل إليه يدلي بدلوه قصد التأثير في الآخر بأي شكل من الأشكال.

والحجاج هو جهاز لساني ومبحث من مباحث التداولية والتي تهتم بموضوعه لسببين:" الأول أن الأشكال اللفظية التي يتم إنتاجها في الاستعمال اللغوي لا تخلوا من قصد الحجاج مهما كانت الوظيفة الغالبة على الملفوظات المنطوق بها ، وهو ما يعرف في التداولية بالتوجيه الحجاجي للملفوظات .والسبب الثاني أن الحجاج يفترض طرفي تواصل

يقصد أحدهما إلى التأثير في الطرف الآخر بوجه من الوجوه ،وهذا الاعتبار ما هو إلا تأمل في اللغة من خلال العناصر الشكلية لعملية التواصل".[9]

وعلى هذا الأساس فإن مفاهيم الحجاج متعددة تبعا لتعدد المشارب الفلسفية واللغوية .

فالشريف الجرجاني يعرفه بقوله: «الحجة ما دل على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد»[10].

ويعرفه أبو بكر العزاوي بأنه «تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية ،وبعضها الآخر بمثابة النتائج الذي تنتج منها»،[11].فهذه التعريفات تبين أن الحجاج هو مقدمات ونتائج توجهها استدلالات وبراهين وآلياتها لغوية ومنطقية وبلاغية.

ويتميز الخطاب الحجاجي بسمات منها:

-**القصد المعلن**: أي إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة وهو مايعبر عنه بالطريقة الإيحائية.

-**التناغم:** أي يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالهدوء أو الانفعال وتكون له معرفة لنفسية المتلقي وقدراته.

-**الاستدلال** :وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ،فالنص الحجاجي قائم على البرهنة ،وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره وجدنا ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية تستجيب لنية الإقناع.

-**البرهنة** :وإليها ترد الأمثلة والحجج وكل آليات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال.[12]

فالخطاب الحجاجي قناة تواصل جوهره اللغة ومحوره مرسل ومتلقي أو مؤثر ومتأثر، فالمرسل يستعمل كل آليات الإقناع من أجل توصيل الفكرة واستمالة المتلقي وتوجيهه إلى مسارات متعددة ،تؤدي نتيجة واحدة وهذه النتيجة قائمة على علاقات التمثيل والاستدلال.

و بين أيدينا وصية من وصايا النثر الجاهلي وهي وصية زهير بن جناب الكلبي حيث قال مخاطبا إياهم: :« يا بني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فأحكمتني التجارب

والأمور تجربة واختبارا فاحفظوا عني ما أقول وعوه ،إياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعية للغم وشماتة للعدو ، وسوء الظن بالرب وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ولكن توقعوها ،فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد أنه مصيبه»[13].

يمكننا تطبيق عناصر الخطاب الحجاجي التي تقوم على المقدمات والروابط الحجاجية بين المقدمات والنتائج، ذلك لأن الوصايا تشكل خطابا حجاجيا يؤدي غرضه التأثيري الإقناعي في النص "وهو خطاب ذو تفكير حجاجي يهدف إلى التأثير والإقناع بإقامة الحجة عبر تقنياته وطرائقه اللغوية وصوره البلاغية وكيفية انتظام مواده ،وعلى ذلك فالإقناع والاسلوب ولغة الاستعمال وترتيب أجزاء القول من منطلقات التأثير في المتلقي".[14]

أولا:المقدمات:

تمثل المقدمات عنصرا فعالا في الخطاب الحجاجي ،لكونها تمثل منطلق الحجاج سواء أكانت المحاجة منطقية أو لغوية ،ولعل الغلبة في المناظرات والجدالات والخصومات تتوقف على مقدرة المتكلم على رصف الحجج وسوقها على مسامع الناس".[15]

وتفتتح الوصية بمقدمة هي بمثابة حجة لبنيه وهي قائمة على الوصف والتفسير وذلك في قوله :"يا بني قد كبرت سني ..." وهي في بنيتها العميقة تهدف إلى غاية واحدة وهي بيان تجارب هذا الأب في مساره الحياتي، وقد عبر عنها بهذه المقدمة التي تقوم على مجموعة من الاستدلالات وهي كبر السن وخوض غمار تجارب الحياة وغيرها ,والمتأمل في البنية الحجاجية لهذه الوصية يجد في ثناياها ذلك الأسلوب الإقناعي الذي يوجه السامع ويوجه مساره التوجيهي بمقدمات محتملة "فكبر السن وخوض التجارب تحمل في معناها الضمني توجيهات وأوامر من قائد مجرب خبير بخبايا الأمور ،كما أن هذا الوصف الذي استعمله الموصي هو فكرة حجاجية تدفع بمخيلة المتلقي أو الموصى إلى إدراك الأمور وفهمها والسير على درب الموصي.

ثانيا: الروابط الحجاجية:

وهي الروابط التي تجمع بين المقدمات والنتائج وهي روابط يغلب عليها أن تكون سببية " وقد تنوعت الروابط في هذه الوصية مثال ذلك استعمال الرابط الفاء الدال على الوصل والسببية في قوله "قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فأحكمتني التجارب"...

كما نجد رابط العطف الواو الذي يتحول إلى رابط حجاجي بين جملتي "قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري" وقد أدى هذا الترابط النصي إلى الانتقال من العموم إلى الخصوص حتى يبين للموصى إليه هيبة وحنكة الموصي وحالته التي مر عليها ،وحتى يكون الموصى مستعدا تمام الاستعداد لتنفيذ الوصية والسير على ركب الموصي.

وتنطلق الوصية من مسلمات متتابعة تعقبها حجج منطقية بواسطة الرابط "إن" وهو رابط توكيدي يؤكد فيه الموصي على عدم الاستسلام والخضوع والفشل عند المصائب وذلك في قوله :"إياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعية للغم وشماتة للعدو " فهذه النتيجة حتمية، يريد الموصي إثباتها من خلال القضايا السابقة التي أسداها لأبنائه ليهدف من خلالها إلى بيان قوة الطرح والوصول إلى مستوى من التأثير والإقناع الذي يبنى على مبررات منطقية .

2.3 أفعال الكلام:

تعد نظرية أفعال الكلام مبحثا من مباحث التداولية وهذه النظرية تنطلق من مسلمة مفادها « أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية ، وتطرح الأفعال الكلامية السؤال الآتي :هل يمكن أن ينجز الفعل دون أن ينطق بكلام ما ؟وهل يمكن أن ينجز الفعل طوع إرادتنا ؟ وهل ننوي أن ننجز الفعل حقا؟[16] معنى ذلك أن هذه النظرية « تدرس الأفعال التي تعبر عن فعل ولا يحكم عليها بصدق أو كذب وقد لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تعبر عن حقيقة واقعية تهدف إلى إرساء قواعد نظرية للأفعال الكلامية من الأنماط المجردة أو الأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تنجز أثناء الكلام ،فالمتكلم عندما يتحدث يخبر عن شيئ أو يصرح بشيء أو يأمر أو ينهى أو يلتمس...»[17].

وتبنى نظرية أفعال الكلام على القدرة والإنجاز ،فكل اتصال لغوي يقتضي فعلا كلاميا "فوحدة التواصل اللغوي هي ليست ما كان مفترضا بأنها الرمز والمفردة والجملة ولا في

علامة على الرمز أو المفردة أو الجملة، بل هي بالأحرى إنتاج أو إصدار ذلك الرمز أو المفردة أو الجملة في تأدية فعل الكلام".[18]

ويرتبط الفعل الكلامي بصيغة الخطاب الذي ينتجه المتكلم ، وقد اشار اوستن إلى أن الإنشائيات تتأسس غالبا على أساس فعل مبني للمعلوم ومسند إلى ضمير المتكلم ،فالفعل الأدائي لا يتعلق بالصيغة الصرفية ولا البنية النحوية وحدها ،بل يتعلق بالدلالة المعجمية التي للفعل لأن الدلالة المعجمية هي التي تكشف عن كون القول إخبارا عن شيء ما أو أداء له ".[19]

وتتجلى أفعال الكلام في وصية من وصايا النثر الجاهلي ألا وهي وصية ذو الأصبع العدواني لولده ،وقد كانت هذه الوصية حال احتضاره ،يقول فيها :

« يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وأبسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيئ يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ،يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ،واسمح بمالك واحم حريمك واعزز جارك ،وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك، واسر النهضة في الصريخ فإن لك أجرا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أجد شيئا فبذلك يتم سؤددك»[20].

والملاحظ أن هذه الوصية تحمل أفعالا كثيرة من حيث الزمن ودلالتها واضحة وجلية فهي تنم عن حركة وحدث ،كما تهدف هذه الحركية إلى توجيه وتعديل في السلوك للمتلقي ،ومن ثم الوصول إلى نتيجة مفادها أن السيادة تورث ولها أسسها وشروطها. وقد تجلت الأفعال الكلامية في هذه الوصية بأنواعها وأغراضها ونذكر منها:

1-الأفعال التوجيهية :

وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل معين ويبدأ الأمر بالتبليغ به وينتهي بالتصريح على وجه الإلزام والاستعلاء ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ويربط الإخلاص في الرغبة الخالصة (النية) في التأثير في المتلقي وإقناعه ويدخل فيها النصح والإرشاد والإصلاح والاستعطاف والتشجيع"[21]

والنقطة التمريرية في التوجيهيات هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنواهي والطلبات واتجاه الملاءمة هو دائما من العالم إلى الكلمة ".[22]

أ-النداء:

افتتح ذو الأصبع العدواني وصيته بصيغة النداء وهي صيغة توجيهية طلبية قائلا له :"يا بني" وهذا طلب افتتح بنداء المخاطب الموصى إليه وإنزال مرتبته إلى مرتبة ابنه لأن مقتضى الحدث جاء في سياق النصيحة ،فلابد إذن من أن يلفت انتباهه وبذلك يصبح تصرفه مطابقا لفحوى الوصية ،فأسلوب النداء تحقيق فعلي غرضه الإنجازي جعل المخاطب مستئنسا له ومقبلا عليه خاصة وأنه حرف النداء التي تستعمل لنداء القريب.

ب- الأمر:

الأمر عند اللغويين هو طلب وقوع الحدث في المستقبل ،وعند البلاغيين هو الصيغة اللفظية ،وفي ذلك يقول السكاكي:"الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها ،أعني استعمال نحو لينزل ،انزل وصه على سبيل الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة والمراد بالاستعلاء أن يعد الآمر نفسه أعلى من المخاطب وأرفع منه شأنا سواء أكان عالما في الواقع أم لا ".[23]

فالاستعلاء مرتبط بمكانة الآمر ، إذ يفرض نفسه على المأمور بالطلب على جهة الإلزام ويتميز بخصائص أهمها :

-كونه مفيد للمستقبل ولكنه محدد ينتهي بانتهاء وقت الطلب .

-كونه طلب الفعل سواء أكان واجبا أم خارجا عن الوجوب والإلزام إلى سياقات أخرى .

ويعد الأمر من عناصر الأفعال الكلامية التوجيهية التي تعج بها الوصية بحكم أنها صادرة من أب قائد ،وقد وردت أفعال الأمر متتابعة مسترسلة وهي على التوالي(ألن، تواضع ،ابسط ، أكرم ، اسمح ،احم، اعزز) والهدف منها هو الإصرار وإثبات حضور المتلقي وتمكينه من أداء الفعل. كما أن توالي هذه الأفعال التوجيهية تعزز من طبيعة العلاقة بين المرسل والمتلقي ،فكلما قويت العلاقة بينهما كلما كانت الأفعال أكثر حضورا وأكثر تأثيرا في المتلقي.

وما دام المرسل أو الموصي هو الأب القائد في الآن نفسه فعلى المتلقي الإذعان له بالسمع والطاعة ،بما تفرضه تلك المطالب من مصداقية ونوايا حسنة ومكانة أرفع يحظى بها المرسل من تأثر وقبول.

وقد اقترنت الأفعال الطلبية الدالة على الأمر بالنتائج المترتب عنها ،فهي لم تكن أفعالا إلزامية بقدر ما كانت تهدف إلى ترغيب المتلقي ، وتمثل الترغيب في تلك النتائج الإيجابية المقترنة بالإلزام ،والتي من شأنها أن ترفع من مكانة المتلقي إلى درجات رفيعة وذلك في قوله :ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك."كل هذه النتائج تزيد من قوة التأثير وترفع من شأن الموصى إليه بين أبناء قومه .

2- الأفعال التأكيدية :

وهي أن تطابق الأفعال الواقع ،وأن يكون المتكلم مقتنعا بها ،وأن يكون الغرض الإنجازي فيها وصف واقعة معينة من خلال قضية لا تحتمل أفعالها الكذب، وأن يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم .[24]

والملاحظ في الوصية أن ذا الأصبع العدواني يحاول إثبات قضية ويقرر ويؤكد أنه بلغ ذروة الكبر وأنه خاض معارك الحياة وسخر حياته بركوب الصعب ،ولكي يؤكد هذه القضايا استعمل جملة "إني موصيك" التي تمثل منعطفا حاسما وبداية استهلال مناسبة للموضوع ،والغرض منها هو توجيه رسالة إلى المتلقي يوضح فيها معاناته وجاء ذلك عن طريق التأكيد الذي يدل على تقوية الخبر وتمكنه في النفس بإزالة الشك والشبهة عنه.

3-3 الإشاريات:

تعتمد الاستراتيجية التواصلية على مراعاة كل أشكال المقام الذي يتم فيه الخطاب، ويستدعي ذلك الربط بين أسلوب الخطاب وما يتضمنه من آليات تصنعها اللغة اعتمادا على العلاقة بين المرسل والمتلقي اللذان يشكلان محور العملية الاتصالية فعملية التواصل الإنساني تخضع لجملة من هذه الآليات التي لا تنفصل عن بعضها البعض ، وهي آلية الإنتاج وآلية التبليغ وآلية التلقي.

وتعد الإشاريات الرابط الرئيس بين هذه الآليات ،وهي أحد مباحث التداولية ،وهي بناء لغوي تجتمع فيه البنيات النصية ،إضافة إلى توجيه من متكلم إلى متلق في زمان ومكان

معينيين، وتعتمد الإشاريات على التواصل والسياق الذي قيل فيه النص ،وتعرف بأنها :« تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه»[25].

معنى ذلك أن هناك مرجعية بين المتكلم والمتلقي بشأن قصدية العبارة وتوجيهها وإحالتها وتعرف أيضا بأنها « الروابط الداخلية التي تربطه بعالمه الخارجي وهي الإحالة التي تتحدد من خلال العنصر اللغوي والسياق الوجودي أو الخارجي ومن ثم تمثل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللغوية التي هي جزء من مقاصد الخطاب، فالإشارة في "أنا وأنت وهنا تفهم من سياقها الخارجي ولا تتحقق إلا من خلال الاستعمال».[26]

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن خصائص الإشاريات هي :

-أنها رابطة بين وحدات النص وهي التي تحقق الاتساق والانسجام في النص.

-أنها تحيل إلى المقام الخارجي الذي يقع فيه الحدث الكلامي.

-يفرضها الاستعمال بين طرفي الخطاب ووظيفتها متصلة بالسياق المخصوص لها وذلك لتوضيح غاية المتكلم .

-أنها عناصر مغيرة للخطاب وتفيد التأكيد والاختصار.

-وظيفتها إشراك طرفي الخطاب في سياق التلفظ ذاته .

وبناء على ذلك نحاول أن نقف على أبعادها في هذه الوصية الموجهة من أم إلى ابنتها اعتمادا على أنواع الإشاريات.

تقول أمامة بنت الحارث موصية ابنتها: «أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ،فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا. يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا :الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا طيب ريح والكحل أحسن الحسن الموجود والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة، والاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله ،فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا ،فإنك إن أفشيت سره لم تأمني

غدره وإن عصيت أمره، أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا ،فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك »[27].

1- **الإشاريات الشخصية في الوصية :**

و المقصود بها تلك الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ ،الإنسان أو المعلم أو الأب وهكذا ...[28]

ويمكن القول من خلال هذه الوصية أن حضور المتكلم والمخاطب والمتمثل في الأم والبنت ،فهما يمثلان طرفان أساسيان في عملية توجيه وسير الخطاب من خلال تجارب وخبرات السابقة للأم ،والتي ترغب نقلها إلى ابنتها و تباعها والعمل بها "والخطاب في هذا السياق يتشكل أساسا من تواجد شخصين على الأقل يتبادلان المعارف والخبرات بينهما ،وبواسطة اللغة يتمكن المتكلم من أداء أفعال متعددة".[29]

أ-ضمير المتكلم:

يعبر عن ضمير المتكلم في اللغة العربية ب "أنا" وهو يتصرف من حيث العدد لا من حيث الجنس إلى ضمير دال على المثنى والجمع معا نحو "نحن"، والتعبير به منحصر في المتكلم والمخاطب ،أما الغائب فيمكن أن يعبر عنه إما بالضمير مثل المتكلم والمخاطب أو بالاسم المضمر كاسم الجنس (الرجل ،المرأة) والعلم (زيد ،هند) والصفة (الوسيم ،الوسيمة)".[30]

وتعد الذات المتكلم في هذه الوصية والمتمثلة في شخص "الأم " محور التلفظ في الخطاب حيث يشير تصور الأنا في ذهن المرسل إليه ،الأمر الذي يجعله يقوم بدور الموجه للخطاب ،وهذا الموجه "ليس بإمكانه قول "أنا" في النص لأن النصوص السردية على اختلاف مستوياتها ، تقدم أشخاصا يتلفظون ويتخاطبون في صيغة مباشرة ويتموضعون باعتبارهم مسؤولين عن تلفظهم ".[31]

وقد استهلت الوصية بأداة النداء "أي بنية " وذلك لقرب المسافة الاجتماعية بينهما ،وهذه الذات المسيطرة شكلت دورا فعالا في التنبيه والوعظ والإرشاد ،وتغيير مسار ابنتها إلى كيفية التصرف في حياتها الجديدة .

فحضور المتكلم في هذه التوجيهات عكس تلك الصورة المثالية للأم وتمثل ذلك في قولها "احملي عني عشر خصال ..."فضمير المتكلم المتصل حاضر في هذا المقام الذي يستوجب منه توجيه المتلقي لتنفيذ ما سبق له من تجارب والعمل بها ،فحضور الأنا ظاهر في موضع واحد والذي يمثله لفظ "عني" ،وهذا لا يعني غياب الأنا بل تجسد حضوره في كل أجزاء الوصية وهو حضور الهدف منه هو إثبات استجابة المرسل إليه وكفاءته.

ب-ضمير المخاطب المتصل:

يعد الضمير "أنت" مقابلا ضروريا لضمير المتكلم "فهما يحيلان في المقام على شخصين متصفين بثقافة ومواقف وتجارب ومعارف ومنزلة ومتوفرين على معرفة مضمونة بقواعد اللغة التي بني عليها الخطاب وطرق استعمالها، وهذه المعرفة هي إثبات القدرة على التواصل.

والملاحظ في هذه الوصية أن ضمائر المخاطب المتصلة موجودة بكثرة ،لأن المخاطب هنا يمثل صدى للمتكلم يتتبعه ويسير على نهجه ،لأن المتكلم يتفرد عن المخاطب بكونه منجزا ماثلا داخله مما يجعل منزلته بالنسبة إلى المخاطب أرفع[32] .

وقد طغت ضمائر المخاطب المتصلة في قولها: "فارقت ،خلفت ،كوني ..." وذلك للإشارة إلى مقام اجتماعي يتطلب سرد معطيات معينة استدعتها ظروف ما.

ج-ضمير الغائب المتصل:

من المعلوم أن ضمائر المخاطب المتصلة تحيل إلى مفسر متقدم الذكر"،والمفسر هو العنصر اللغوي الذي يعود عليه الضمير فيشرحه ويرفع إبهامه ،ويشترك هذان العنصران في الإحالة على متصور مرجعي واحد محققين بذلك ما يسمى بالتقارن الإحالي".[33]

وقد توزعت ضمائر الغائب المتصلة في أجزاء الوصية لتعود على شخص الرجل الذي يمثل عنصرا إشاريا داخل النص ،وفي الوقت نفسه يمثل محور القضية المطروحة ،ومن أمثلة ذلك "عينه، طعامه ،منامه ،عياله"، والملاحظ في هذا السياق أن الإشاريات الشخصية المتمثلة في الذات المحورية "الأنا "قد امتدت لتوصل بين المخاطب والغائب عن طريق

تقريب المسافة بين الزوجة والزوج ،وقد شكلت هذه الضمائر مرجعا مهما ومفسرا يحيل إلى الزوج الغائب/الحاضر الذي كان محور الحديث وموضوع الوصية.

3-2-الإشاريات المكانية في الوصية:

وهي التي تحيل إلى المواضع التي يتفاعل معها الخطاب ويمثل المكان بعدا أساسيا يحس به الإنسان ويؤثر في وجوده وكينونته ،ومن الإشارات المكانية هذا ،ذاك ،الظروف هنا ،هنالك ،فوق، تحت ويدخل فيها اسم الأماكن وهي تدل على أشياء في العالم الخارجي. وهي كذلك "عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع ،ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة" .[34]

وتوزعت الإشاريات المكانية في الوصية ،منها ما تعلق بالبنت المقبلة على الزواج وتجلى ذلك في ألفاظ :"الجو ،العش، الوكر "،ومنها ما تعلق بالزوج ،وتجلى ذلك في ألفاظ "موضع ،موقع" وهي مرجع مكاني يبين لنا السياق الخارجي الذي تضمنه الخطاب ،كما يحدد اتجاه سير المتلقي وحضوره كطرف فعال في تنفيذ الوصية .

3-3-الإشاريات الزمانية: وهي التي تحيل إلى زمن وأحداث الخطاب والزمن نوعان زمن نحوي وزمن كوني خارجي والنحوي زمن الجملة والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي مثل الظروف وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي .[35]،كما تعرف أيضا بأنها "كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم او مركز الإشارة الزمانية في الكلام ،فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ".[36]

وقد وردت بعض الإشاريات الزمانية في الوصية وتمثلت في قولها "وقت طعامه، عند منامه" وهي تمثل لحظة التلفظ بالقول ولكنه ممتد إلى زمن المستقبل ،فالمرسل إليه ملزم بمعرفة لحظة التلفظ كي يبني توقعه وفق مسارها ،كما تمثل هذه الإشاريات امتدادا لخطاب الموصي الذي يهدف إلى بيان الترابط بين المخاطب الموجه إليها الكلام والغائب الزوج المتضمن موضوع الوصية .

4. خاتمة:

يمكننا إجمال النتائج المتوخاة من هذه الدراسة الهادفة إلى بيان الأبعاد التداولية في فن الوصية في النقاط الآتية:

-تركز التداولية على استعمال اللغة في موقف تواصلي معين ،مراعية في ذلك أنواع السياق الذي يوجه مسار الخطاب.

-تطبيق المقولات التداولية في تحليل النصوص أو ا لخطابات من شأنه أن يعزز من الكشف عن تفاعل اللغة والوصول بالنص إلى مقاربة اساسها معرفة مكامنه الخفية .

-يمتاز النص النثري وبخاصة الوصية بلغة محكمة قوية جزلة ،الأمر الذي يدفعنا لإعادته قراءته من منظور المقاربة التداولية التي تبرز لنا محطات كثيرة عن حضارة وثقافة ذلك العصر.

-أثبتت الآليات التداولية من الأساليب الحجاجية وأفعال الكلام والإشاريات كفاءتها في الكشف عن الدلالات الخفية لنصوص الوصية.

-اتضح لنا من خلال التحليل التداولي استراتجيات الخطاب التي تحققت في فن الوصية والتي اعتمدت على تفاعل أطراف العملية التواصلية ، التي من خلالها نكشف تأثير أحدهما على الآخر.

5. الهوامش:

[1]موشلار جاك،2010 ،القاموس الموسوعي للتداولية ،دار تانزا تونس

[2]جبار كاظم مرتضى،2015 ،اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني،دار الأمان الرباط ،ص 143

[3]جعطيط نور الدين،2012،تداوليات الخطاب السياسي،عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،ص61

[4]الفيروزآبادي ،1997،القاموس المحيط ،دار إحياء التراث ،القاهرة (مادة وصي)

[5] ينظر :العشي عبد الله،2005 ،زحام الخطابات،دار الأمل للطباعة الجزائر ،ص148

[6]الزيات حسن،دت،تاريخ الأدب العربي،دار نهضة مصر ،القاهرة ص 19

[7]المرجع نفسه ص 19

[8]عشير عبد السلام،2006 ،عندما نتواصل نغير ،افريقيا الشرق ،المغرب، ص 18

[9] بوزغاية رزيق:2020 ،كتاب التداوليات،دار نوران للنشر والتوزيع،ص115

[10]الجرجاني الشريف،دت،التعريفات ،مكتبة لبنان ص 85

[11]العزاوي أبو بكر،2006 ،اللغة والحجاج منتديات سور الأزبكية القاهرة ص 16

[12]ينظر مثنى صادق ،2015 ،أسلوبية الحجاج التداولي ،منشورات ضفاف ،لبنان ص 99

[13]احمد زكي صفوت،1973 ،جمهرة خطب العرب في العصور الزاهرة ،مطبعة المصطفى ،ج1 ،ص 289

[14]الغرايبة علاء الدين،العمري أمل :2019،آليات الحجاج لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي،مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية ،مج 27 العدد 3 ص 185

[15]بوزغاية رزيق:كتاب التداوليات ص 161
[16]اوستن،1991 ،نظرية أفعال الكلام ،دار افريقيا الشرق ،المغرب ص 104
[17]عكاشة محمود،2013 ،البراجمماتية اللسانية،مكتبة الآداب ،القاهرة ص 96
[18]كاظم مرتضى جبار ،2015 ،اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني،منشورات الاختلاف،الجزائر ص 41
[19]بوزغاية رزيق:كتاب التداوليات ص 188
[20]احمد زكي صفوت،1973 ،جمهرة خطب العرب ج2 ،ص 291
[21]عكاشة محمود،،النظرية البرجماتية اللسانية التداولية، ص106
[22]بوزغاية رزيق:كتاب التداوليات ص 193
[23]السكاكي:مفتاح العلوم ص 428
[24]عكاشة محمود:البرجماتية اللسانية ص106
[25]الشهري ظافر،2004 ، استراتيجيات الخطاب ،دار الكتاب الجديد المتحدة ص 81
[26]عكاشة محمود،البراجماتية اللسانية ص 84
[27]أحمد زكي صفوت:جمهرة خطب العرب،ج2 ،ص296
[28]ينظر الشهري ظافر:استراتجيات الخطاب ص 82
[29]حمو الحاج ذهبية،2015،التداولية واستراتجية التواصل،دار رؤية للنشر والتوزيع،ص94
[30]الهيشري الشاذلي،2003،الضمير بنيته ودوره في الجملة ،جامعة منوبة ،تونس ،،ص 34
[31]ينظر حمو الحاج ذهبية ،التداولية واستراتجية التواصل ص 96
[32]ينظر الشاذلي الهيشري: الضميربنيته ودوره في الجملة ص 346
[33]المرجع نفسه ص 348
[34]نحلة أحمد محمود،2002 ،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامية ،القاهرة ص 21
[35] ينظر عكاشة محمود ،البرجماتية اللسانية ص 94
[36]نحلة أحمد محمود:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 19